أركان الايمان

للشيخ وهبي غاوجي

عرض د. نشأة ضيف

إن أهم العلوم وأشرفها (علم أصول الدين). وقد اكتسب العلم هذا الشرف بشرف موضوعاته التي منها ذات الله ـ تعالى ـ وذات رسله، من حيث ما يجب وما يجوز وما يستميل، وهو الأصل الأول لبقية العلوم الإسلامية. ودراسة ترفع الإنسان من خفيض التقليد إلى شرف المعرفة، وهو يدافع عن العقيدة الإسلامية، ويرد كيد المعتدين عليها، وفضلاً على ذلك يُظهر العقيدة الصحيحة ويجليها ويعرضها عرضا طيبا خالياً من الشبه بعيداً عن الأوهام والشكوك...

وتعد أركان الإيمان من القضايا الأساسية التي يدرسها هذا العلم، ولو أنكر الإنسان واحداً منها لما عدَّ مؤمناً. وقد نشرت مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٤م كتابا بعنوان (أركان الإيمان) للعالم الجليل الشيخ وهبي سليمان القائم ـ حاليا ـ بأعمال رئيس قسم الشريعة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي.

يقع الكتاب في ثلاثمائة وثمان وعشرين صحيفة ويشتمل على مقدم وستة فصول: ـ

في المقدمة بين المؤلف أهمية علم أصول الدين، وتحدث باختصار ـ غير مخل ـ عن نشأة هذا العلم، وتدوينه. وأول من ألف فيه، وكيف تطور التأليف فيه، وختمها ببيان أهمية أركان الإيمان وفي الفصل الأول: وضح مفهوم الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وأمدنا المؤلف ـ أطال الله حياته ـ برأى وجيه في القضية التي تشغل عدداً كبيراً من العلماء وهو ترجيح القول بالتأويل التفصيلي. حين تستدعي الظروف ذلك. وتركه حين لا يكون المجتمع في

حاجة إليه والأخذ بالتفويض، وفي مقام الاستدلال على وجود الله ـ تعالى ـ يذكر عدداً من الدلائل العلوية وغيرها مما لا يدع مجالا للشك في إيمان كل من ينظر فيها ويتأملها بنظرة بعيدة عن التعصب خالية من الجمود.

وقد ذكر المؤلف ـ أكرمه الله ـ بعض الأمور التي بسببها يلحد بعض الناس في الإيمان بالله على الرغم من ظهور الأدلّة على وجوده تعالى ـ من بينها تقليد الآباء والأجداد، وإيثار الهوى وقلة العلم مع ضآلة المعرفة ووجود الإنسان في بيئة ملحدة!!

وخص الفصل الثاني: بالحديث عن الملائكة، فعرَّفنا حقيقتهم، وأمدنا بأوصافهم، والحكمة من خلقهم وأشار إلى وظائفهم أجمالاً وبين وظائف رؤسائهم تفصيلاً، وهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت. ثم ذكر آثار الإيمان بهم.

أما الفصل الثالث: فعقده للإيمان بالكتب المنزلة وبين فيه الحكمة من إنزال الكتب السماوية ونبه إلى أن القرآن الكريم أثبت أصول ما في الكتب السابقة، وشهد للأمور التي أخفاها أهلها وأيد دعواه بذكر بعض الأمثلة التي تشهد على ذلك.

واكتفى ـ المؤلف وهو واحد من دعاة أمة النبي ﷺ ـ بالحديث عن القرآن كتاباً أنزل على نبينا ﷺ، فيه حكم ما بيننا ونبأ ما بعدنا وخبر ما قبلنا، وختم الفصل كعادته ببيان أثر الإيمان بالكتب وفي الفصل الرابع. عالج ـ المؤلف ـ قضية الإيمان بالرسل عليهم السلام، فذكر الصفات الواجبة لهم إجمالاً وتفصيلاً. ووقف بقلمه ـ السيال ـ موقف المدافع الأمني عن الأنبياء والمرسلين، يرد الإسرائيليات التي تروج الشائعات ـ التي لا أساس لها من الصحة. وهي القول بجواز إصابة الأنبياء بأمراض منفرة ويحذرنا من الأخذ بما قيل عن الأنبياء والمرسلين في كتاب قصص الأنبياء للثعلبي المسمى بـ (العرائس) وبعد أن بين مهمة الأنبياء وأشار إلى اتفاق دعوتهم في القواعد والأصول، أخذ في الرد على المفكرين للنبوات من أمثال البراهمة بردود برهانية عن طريق بيان الحكمة من بعثتهم، ثم تحدث بشيء من التفصيل عن نبينا ﷺ، وعن بعض خصوصياته وعلى رأسها الشفاعة العظمى، ورد على الشبه التي تطعن في كون

النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، بما لا يدع مجالاً للشك في كذب كل من يدعي النبوة بعده ويهيب المؤلف بالمسؤلين في العالم الإسلامي ـ وعلى رأسهم الدعاة ـ للحركة الدائبة المتواصلة لنشر الإسلام وتوضيحه للعالم كله بلغاته المختلفة، وفي مقام الحديث عن كل من لم تبلغه الدعوة يُحمّلُ المؤلف الحكومات الإسلامية والأغنياء من المسلمين المسؤولية، لأن جهاز الدعوة يتطلب الدعم المالي وتأييد الحاكم ونصرته. ثم بين الحكمة من المعجزات، وبرهن على إمكانها وذكر بعضها للأنبياء السابقين وقسمها إلى وقتية وباقية، وبعد إشارته إلى المعجزات السماوية والأرضية ركز الحديث على المعجزة الباقية الخالدة وهي (القرآن الكريم) فذكر أسماءه، وموضوعاته، ووجوه إعجازه، وعلى رأسها الوفاء بحاجة البشر الضرورية وغيرها، وناقش مشكلة ترجمة القرآن الكريم وختم الفصل ببيان أثر الإيمان بالأنبياء. أما الفصل الخامس: فعقده للإيمان باليوم الآخر. وتحدث عن أشراط الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى وبين حقيقة الموت، وهمس في أذن كل قارىء للكتاب بالاستعداد للموت بأمور عدة.... ثم قارن بين الحياة البرزخية والقبر. ليرد على من يقول باتحاد مفهومهما. ثم تحدث عن النفخة الأولى، والصور، والبعث والحساب وأشار إلى الأوائل والأواخر الذين يستمتعون بدخول الجنة والنعيم فيها موضحاً صفاتهم مشيراً إلى صور نعيم أهل الجنة. وفي المقابل ذكر صفات الكفرة. والعياذ بالله ـ منبها إلى بعض الصور من عذابهم ليرتدع العاصي عن ضلاله وليعود إلى رشده وصوابه.

وحري بالمؤلف ـ أن يقف بالمرصاد لكل من يقول بفناء النار وانتهاء أمرها!!

ومن باب التأدب بالأدب الإسلامي يلتمس المؤلف لهم العذر، ويجهد نفسه في تبرئة ساحتهم فيقول: ولعل القائلين بالفناء اغتروا بأقوال منسوبة إلى بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وهي في الواقع ليست صحيحة النسبة إليهم، أو لعل القائلين بالفناء يكونون قد رجعوا عن قولهم فيما بعد وهو أفتراض حسن ينبىء عن خلق حميد. وعلى كل حال استعان المؤلف بردود كثيرة على القائلين بالفناء، على فرض صحة النسبة إلى القائلين بفضائها ويحلينا إلى عدة مصادر تعرضت لهذه القضية ووقف مؤلفوها موقفاً صلباً في وجه كل من يردد القول بفناء النار ومن بينها رسالة لتقي الدين السبكي أطلق عليها إسم

(الإعتبار ببقاء الجنة والنار) وفي نهاية الفصْل يذكرنا المؤلف بأثر الإيمان باليوم الآخر، ومنه وجوب الاستقامة، والاستعداد ليوم القيامة.

ويختم المؤلف كتابه بالفصل الأخير (الإيمان بالقضاء والقدر) فيعرفهما وينبهنا إلى أن كل ما يقع في الكون فهو بعلم الله وإرادته، فكلنا لا ننسب إلى الله خلق الشر تأدباً، وتظهر جرأة المؤلف وصدق يقينه حين يُحمّلُ الإنسان مسؤولية اختياره، باستثناء الأمور التي لا دخل للإنسان فيها كالولادة والموت وغيرها ونَفَى وجود علاقة ضرورية بين علم الله وفعل العبد ـ ليغلق باب الاحتجاج بالعلم الأزلي، كل هذا بأدلة نقلية وعقلية. وفي مقام الرد على القائلين بعدم وجود فائدة للدعاء ـ ما دام كل شيء بقضاء الله وقدره يذكر المؤلف أن الدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة ـ ويمنع الاحتجاج بالقضاء قبل وقوع المقدور، فهذا منهج الكفرة الذين يقولون بعد فعل الفاحشة (وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) كيف والقرآن يقول (إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) في حين أجاز المؤلف الإحتجاج بالقدر بعد وقوع المقدور لأنه من أركان الإيمان ومن دعائه ﷺ (اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء) لكن هذا لا يعني جواز إحتجاج العاصي بالقدر ليدفع عن نفسه القصاص أو الحد، وفي النهاية يذكر آثار الإيمان بالقضاء والقدر والتي منها: رضا الإنسان عن الله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ويحفظه من الغرور. وهو يعد سبباً من أسباب سعادة المؤمن الذي يعلم أن ما قدر يكون.. حقا: إنه كتاب مفيد في موضوعه، أغنى المكتبة الإسلامية وحري بكل باحث ودارس أن يعود إليه ليستفيد منه، وليتعلم دقة المنهج في التأليف، وجدير بكل قارىء يقرؤه أن ينتفع به لتميزه بيسر العبارة، وسهولة العرض، والبعد عن الخلافات الشائكة التي قد تضيع الحقيقة وسطها.

جزى الله المؤلف خير الجزاء وجعل هذا العمل الجيد ذُخراً له في سجل صفحاته وأطال الله عمره.

والله من وراء القصد،